

# صفحة مشرقة من تاريخ سنغال

## قبل و بعد مجيء

## صلاح الدين الى الحكم

ماجد محمد يونس  
كلية الآداب / قسم التاريخ

### اولاً / سنغال .. جغرافيتها وتسميتها؟

سنغال من المدن التاريخية المشهورة في اقليم الجزيرة، تقع على ريو مرتفعة في سفح جبل يعرف باسمها وهو جبل سنغال، يبعد عن الموصل بحوالي (١٣٣) كم و هي تقع في غربها والى الشمال الغربي من الحدود السورية-العراقية والى الشرق بقليل من خط الطول (٤٢) شرقاً وخط عرض (٢٦-٢٢) شمالاً.

تمتاز المنطقة بوعورتها وصعوبة مسالكها. يبلغ ارتفاع الجبل حوالي (١٤٦٣) م. يخترقها واد جميل يسمى بـ (يسته) وكانت للمدينة نهران احدهما كان يعرف بنهر (دا العين) والاخر كان يخرج من عين في البلد وتسمى بـ (عين الاحتات). وكانت للمدينة عيون كثيرة. اما من ناحية حصانتها فكانت المدينة سور منيع مكون من الحجر والكلس ولها قلعتان حصينتان، وكانت للمدينة برج ايضاً يسمى ببرج (الخزانة). وكانت لسنغال ابواب ايضاً أحدها كان يسمى بباب (الماء) واخرى كان يسمى بباب (العتيق) وثالث كان يسمى بباب (الجبل) و رابع يسمى بباب (شمس).

اما عن التسمية فاللمدينة اسماء تاريخية عديدة قديمة قدم التاريخ. منها ما هو كوردي ومنها ما هو عربي ومنها ما هو فارسي. وقد اختلطت الحقيقة بالخرافة حول



اصل تسمية شنغال، حيث ان هناك اكثر من رأي حول اصل التسمية، فيعتقد البعض ان كلمة سنجار ظهرت لأول مرة بعد حادثة الطوفان زمن نوح (عليه السلام) حيث يقال ان سفينة نوح قد اصطدمت بقمة جبل شنغال وحدث ضرراً فيها فقال نوح (هذا سن جبل جار علينا) ومنها تم اشتقاق اسم شنغال، غير ان هذه الرواية ضعيفة على حد قول الباحثين وذلك لأكثر من سبب منها عدم وجود مصدر تاريخي لتلك الفترة، ثم من يؤكد لنا ان نوحاً (عليه السلام) كان يتكلم بالعربية وبهذه اللهجة، غير ان الباحثين يرجعون ان مصدر هذه الرواية هم السكان المحليون الذين تناقلوها جيلاً بعد جيل لانها تضيفي على مدينتهم اهمية تاريخية وترضيهم.

في حين يعتقد البعض ان الاسم كوردي لان الكورد يسمونها (شنگار) وتعني النار الجميلة او ربما الجهة الجميلة على حد قول بعض المختصين، وان الكلمة عبرت الى سنجار لان الحرف (گ) لا يوجد في اللغة العربية.

ويرى البعض ان اصل الاسم هو (ژه نگار) وتعد الملون لكون جبل المدينة له الوان جميلة وذلك بسبب كثرة المعادن في تركيبه وقد يكون الاسم مأخوذ من معدن الحديد. في حين يرى اخرون ان (شنگال) مؤلف من مقطعين من (شن) وتعني المعبد و (گال) وتعني الكاهن الكبير السن) وبالتالي ينتج من دمج الكلمتين (معبد الكاهن الكبير).

وهناك من يعتقد ان الاسم (فارسي) الاصل حيث خضعت المدينة للفرس قديماً وهم او من سموها بسنجار ويراد به (النسر) على اساس ان المتحصن في جبل سنجان يكون في مأمن كالنسر منيعاً اميناً.

ويقال ان الذي قام ببناء المدينة لأول مرة اسمه سنجان ولهذا سمي بأسمه. كما وردت ذكر اسم شنغال في الكتابات البابلية والاشورية بصيغة (سنگارا) وهذا ما يؤكد لنا ان المدينة قديمة جداً. وقيل ان السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسالان السلجوقي ولد فيها فسمي المدينة باسمه. ولكن ما يهمنا في هذا ان المدينة كانت تسمى (سنجان) في العهد الايوبي.

### ثانياً / نشوء اتابكية شنغال:

كانت سنجان تابعة للموصل وخاضعة لحكم قطب الدين مودود بن زنكي حتى وفاته سنة (٥٦٥هـ) وبعد وفاة الاخير اشتد الصراع بين ولديه عماد الدين زنكي ويناصره عمه نورالدين الذي كان حاكماً على الشام وبين ابنه الاصغر سيف الدين غازي ويناصره نائب ابيه فخرالدين عبدالملح لوجود عداء بين الاخير ونورالدين المناصر لعماد الدين زنكي. وعندما اشتد الصراع بين الاخوين لجأ عمادالدين الى عمه في الشام طالباً منه النصرة والدعم، وعلى اثره قام عمه نورالدين بتجهيز جيش وتوجه به نحو الفرات فعبرها في مستهل سنة ٥٦٦هـ وبعد ذلك قصد الرقة فاستولى عليها بعد مقاومة خفيفة ومنها توجه نحو الحابور ثم قصد نصيبين واستولى عليها ايضاً ويبدو ان نورالدين اراد ان يسيطر على سنجان سياسياً وليس عسكرياً لكي يتجنب اثاره الخلافة العباسية، لذا قام نورالدين بارسال عمادالدين (الكاتب الاصفهاني) الى دار الخلافة وذلك لاختذ الاذن من الخليفة بالتوجه نحو شنغال والموصل، فأذن الخليفة له واجاب طلبه، فسار نورالدين الى شنغال بجيشه في ربيع الاول من سنة ٥٦٦هـ، وكانت في شنغال انذاك جمع غفير من قوات الموصل فعلم نورالدين ان امامه مهمة صعبة الا انه قام بعد ذلك بمحاصرتها ونصب عليها المجانيق وشد في حصارها حتى تمكن من الاستيلاء عليها في الثالث عشر من ربيع الاخر من

نفس السنة وسلمها لابن اخيه عماد الدين بن قطب الدين، ويبدو ان استسلام شنغال لم يكن عسكرياً بقدر ما كان سياسياً وذلك لان سماح الخلافة لنورالدين بدخولها كان كافياً بان يشل في عضد المقاتلين فيها وكذلك رفع من معنويات نورالدين وبالتالي سهل عليه في الاستيلاء عليها وبعد الاستيلاء قام نورالدين بهدم سورها بالمجانيق وبذلك قامت اتابكية شنغال ذات الكيان الخاص.

### ثالثاً / استيلاء صلاح الدين على شنغال :

بعد ان تمكن صلاح الدين من التمسك بزمام الامور والوصول الى السلطة بالغائه الخلافة الفاطمية في مصر، بدأ بتنفيذ مشروعه الوحدوي الرامي الى توحيد مصر والشام والجزيرة من اجل جهاد الصليبيين، لكن مما يجدر الاشارة اليه ان الموصل كانت حجر عثره امام مشروعه هذا وادرك صلاح الدين انه لا يستطيع ان يبدأ بجهاده ضد الصليبيين الا اذا امن ظهره وذلك بضم الموصل و شنغال والجزيرة، وبعد ذلك تمكن من ان يسيطر على معظم مدن الجزيرة بعد ان وطد سيطرته على مصر والشام، فاستشار صلاح الدين قواده في البدء بالموصل ام بشنغال، فأشاروا اليه بالموصل اولاً، فاقترح صلاح الدين برأي قواده وسار من مدينة نصيبين الى الموصل وضرب الحصار عليها في شهر رجب من سنة (٥٧٨هـ) الا ان السلطان اخفق في عملية الحصار لاكثر من سبب يأتي في طليعة هذه الاسباب استحکامات الموصل القوية والمنيعة ودفاع اهلها وموقفهم الصلب في الدفاع عن مدينتهم، فايقن صلاح الدين ان استسلام الموصل لا يأتي الا عن طريق حصارها الشديد والسيطرة على القلاع والحصون المجاورة لها، لذلك اقرر السلطان ترك الموصل والتوجه نحو شنغال للاستيلاء عليها ليضيق بذلك الخناق على الموصل واثناء مسيره الى شنغال توجه جيش من الموصل باتجاهه غير ان صلاح الدين تمكن من اخفاق محاولتهم واسر جميعهم وبعد ذلك نزع من سلاحهم وخيولهم واطلق سراحهم وبتبين من هذا ان صلاح الدين كان يهدف من وراء عمله هذا عدة امور منها التخلص من اطعام الاسرى والاستفادة من خيولهم ثم كسب ود الاسرى واهاليهم اضافة الى انه لم يكن يملك معسكرات قريبة لايواء الاسرى وبدأ السلطان بحصار

شنگال وكان يحكمها شرف الدين اميرا ميران، ودافع هذا عن المدينة بحزم وشجاعة غير انه لم يستطع الصمود امام السلطان، ويقال ان صلاح الدين تمكن من الدخول الى المدينة بمساعدة الكورد الزرزائية الذين كانوا في شنگال بالاتفاق معهم على فتح باب من ابواب المدينة ليلاً، فدخل صلاح الدين المدينة ليلاً، مما اضطر شرف الدين الى طلب الامان لنفسه وامواله وعسكره وكان ذلك في (٢) من رمضان سنة (٥٧٨هـ) فاعطاه صلاح الدين الامان بفضل شرف الدين الخروج من شنگال، فخرج هو وجماعته مكرمين معززين الى الموصل.

وبعد ذلك امر صلاح الدين ببناء المدينة واعمارها ورتب احوالها كما قام بالغاء الضرائب المفروضة على اهل المدينة تقريباً من اهلها، لكن المؤرخ عماد الدين الاصفهاني يورد في كتابه (الفتح القسي في الفتح القدسي) ان صلاح الدين بعد ان دخل شنگال عجز في السيطرة على جنوده فقطعوا الاشجار وخرّبوا العمران.

وادى استيلاء صلاح الدين على شنگال الى اثاره حفيظة اتابك الموصل (عزالدين مسعود) فارسل الاخير الى شاه ارمن (سقمان) والملقب بظهير الدين وكان اتابكاً على خلاط يطلب منه العون والنجدة لان صلاح الدين كان يهيء لحصار الموصل للمرة الثانية، فارسل ظهير الدين بدوره رسالة الى صلاح الدين طلب فيها التخلي عن اطماعه تجاه مدينة الموصل غير ان السلطان سوّف في الجواب ولم يرد عليها، فلما رأى اتابك خلاط ان السلطان لم يرد على رسالته ارسل اليه رسالة ثانية تتضمن الوعيد والتهديد، وقام بتجهيز قواته العسكرية وخرج من خلاط الى ماردين والتقى مع (دولة شاه) اتابك بدليس وارزن كما اتجه عزالدين مسعود اليهم بعدد قليل من الجيش واجتمع الاطراف الثلاث في مدينة حرزم (بلدة صغيرة تقم بين ماردين ودنيبر واكثر اهلها من النصرى، يا قوت الحموي، معجم البلدان. ج٣)، للتوجه لقتال صلاح الدين الذي كان انشد في حران يريح جيشه، وفي حران قام صلاح الدين بجمع الجيوش من المناطق القريبة منه وارسل رسالة الى (تقي الدين) امير حماة يطلب المساعدة منه، فلبى الأخير طلبه وامده بعدد من المقاتلين، وبعد ذلك خرج صلاح الدين الى منطقة رأس العين، وما ان سمع اعداءه بقوته وخروجه حتى تفرقوا ورجعوا خائبين الى بلادهم

فتوجه صلاح الدين بعد ذلك الى آمد وافتتحها .

### رابعاً / شنغال ودورها في الحروب الصليبية :

من المعلوم ان الشرق الاسلامي قد تعرض للغزو الصليبي مدة قرنين تقريباً من الزمن، القرن السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) وكان لأقليم الجزيرة نصيب كبير من هذه الحروب لكننا الان نركز على دور مدينة شنغال فقط في هذه الحروب.

كانت لشنغال مساهمة متميزة في محاربة الصليبيين منذ فترة مبكرة من اندلاع هذه الحروب وقبل مجيء صلاح الدين ووصوله الى كرسي الحكم ففي سنة ٤٩٩هـ تحالف كل من شحنة بغداد الغازي بن ارتق وحاكم ماردين الاصبهاني والباي ارسلان حاكم شنغال على محاربة الصليبيين والوقوف بوجه حملاتهم، الا انهم فشلوا في الوصول الى هدفهم وتفرقوا بعد ذلك بسبب وقوع خلاف بينهم، وفي سنة (٥٠٧هـ) انضم جيش شنغال الى جيش الموصل بقيادة تيمرك الذي كان حاكماً لشنغال لدفع الصليبيين عن دمشق وتمكنوا من الحاق الهزيمة بخصومهم، وفي سنة (٥٠٩هـ) تحالف جيش شنغال بقيادة تيمرك مع جيش السلطان محمد الذي كان حاكماً على الموصل لمحاربة الصليبيين غير انهم انهزموا شر هزيمة امام القوات الصليبية.

وبمرور الزمن تمكن صلاح الدين من ان يصل الى الحكم ويعد ان استطاع ان يكمل وحدة مصر والشام والجزيرة اصبح الصليبيون يطوقونه بشكل كامل.

في سنة (٥٧٩هـ) ارسل والي شنغال وفداً الى السلطان في دمشق وذلك من اجل النظر في امور الصليبيين، وبعد سنة واحدة اراد السلطان محاربة الصليبيين في الكركنك جاءته الجيوش الاسلامية ومن بينهم جيوش شنغال بقيادة رجل اسمه حسام الدين طحان، ويبدو ان السلطان اراد ان يفتح الكركنك اولاً لانها تقع على الطريق الى مصر فاراد السلطان ان يكون الطريق مفتوحاً الى مصر، فسار السلطان الى الكركنك وحاصرها ونصب عليها المنجنيقات الا انه اخفق في تحقيق هدفه لانه كان يفتقر الى ادوات الحصار الكافية من جهة ولمناعة الحصن من جهة ثانية، غير ان السلطان لم

يتخلى عن عزمته للتوجه نحو الكرك ثانياً وذلك لاعتداءاتهم المستمرة على قوافل حجاج المسلمين فصمم السلطان القضاء على حاكمها ارناط وتوجه اليها وحاصرها وتمكن في هذه المرة من الدخول اليها وكان جيش جبل شنغال في طليعة الجيوش المشاركة في عملية الفتح تحت قيادة حكمها عماد الدين زنگي وقدرت عدد جيوشها بحوالي (٢٠٠٠) رجل.

وفي سنة (٥٨٥ هـ) عندما خرج السلطان نحو (شقيف ارنون) لفتحها جاءته الجيوش من شنغال والموصل وديار بكر بالاضافة الى جيوش اماكن اخرى، وجرت المعركة بين الطرفين انتهت بهزيمة قلب جيش المسلمين ولم يصمد امام الصليبيين سوى جيش شنغال المجرب وتمكنوا من كسر هيمنة الصليبيين وبالتالي دحرهم بعد ذلك. وجدير بالذكر انه في السنة ذاتها وصل ملك الالمان (فردريك) الى القسطنطينية وعندما وصل الاخبار الى مسامع السلطان امر بتجهيز الجيوش وكان اول من وصل اليه من الجيوش جيش جبل شنغال بقيادة عماد الدين زنگي فرحب به السلطان اجمل ترحيب.

كما واشتركت جيش جبل شنغال عندما توجه صلاح الدين نحو قلعة برذية وفي هذه المرة قسم السلطان جيشه الى ثلاثة اقسام، وذلك ليقاتل كل قسم شطراً من النهار وثم يستريح ويسلم القتال للقسم الاخر لكي لا تتوقف عنها القتال حتى الفتح لانها كانت حصينة جداً، وكانت الهجوم الأول لعماد الدين زنگي، فقاتل قتالاً ضارياً الا انهم لم يتمكنوا من فتحها لصعوبة مسالكها ولان الصليبيين كانوا يدحرجون الحجارة عليهم، وبعد الهجوم الثاني والثالث تمكن المسلمون من التسلق الى القلعة من الجهة الشرقية واندفعوا الى داخلها، فطالب حاكمها وجندها الامان فأجاب صلاح الدين طلبهم.

ومن الجدير بالأشارة اليه ان لجيش جبل شنغال كان دوراً مميزاً في معركة حطين التاريخية. اضافة الى اشتراكهم في فتح مدن وقلاع عديدة اخرى ومنها (طبرية، عكا، الزيب، اسكندرون، الناصرة، الطور، جينين، اريحا، البيرة، يافا، حيفا، صيدا، قلعة ابي الحسن، جبل جليل، بيروت، جبيل، عسقلان، تل الصافية، التل الاحمر، الاطرون، بيت جبيل، جبل الخليل، بيت لحم، الرقة، قونيا، القدس) وقلاع ومدناً اخرى.

ولم يقتصر دور شنغال في الحروب الصليبية على المشاركة العسكرية فقط وإنما كان لها دور ادبي أيضاً، فمن الشعراء السنجاريين الذين حضروا الى جبهات القتال وتغنوا بالانتصارات ابن الهائم السنجاري، وكذلك بهاء الدين اسعد بن يحيى السنجاري.

## المصادر والمراجع المتقدمة:

### أ- المصادر:

- ١- ابن الاثير، الكامل في التاريخ، بيروت، لبنان، ١٩٧٨.
- ٢- ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، ١٩٧٧.
- ٣- ابو شامة المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، بيروت.
- ٤- ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق وسر الخلائق، القاهرة.
- ٥- ابن شداد، الاعلاق الحظيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، دمشق ١٩٧٨.
- ٦- ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، القاهرة، ١٩٦٤.
- ٧- عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، مصر ١٩٦٥.
- ٨- المقدسي، احسن التقاسيم في معركة الاقاليم، بيروت ١٩٨٧.
- ٩- ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب.

### ب- المراجع:

- ١- دائرة المعارف الاسلامية، مادة سنجار، بيروت، لبنان.
- ٢- دريد عبدالقهار نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي في مصر و الشام والجزيرة، بغداد، ١٩٧٦.
- ٣- رشيد الجميلي، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي، بيروت، ١٩٧٠.
- ٤- دنسيمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، ١٩٦٨.
- ٥- عبدالرزاق الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، بغداد ١٩٨٢.
- ٦- موسى مصطفى ابراهيم، سنجار دراسة في تاريخها السياسي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، اربيل ١٩٨٨.

### الدوريات:

- ١- سعيد سلو، سنجار وسياسة الارض، جريدة خبات الاسبوعية، اربيل، ٢٧ نيسان ٢٠٠١، العدد ١٠٢٣.